آهٍ يا اندونيسيا !!

✍ هدى الإندونيسية

(١)

وأتلفت حولي .. علّي أتتسّم نسمة عليلة تهب عليّ من هذا الأرخبيل ، فإذا بريح سموم تلفح وجهي ، رياح سبّبتها نار أشعلت هنا وهناك ، فأقضّت مضجع المسؤولين ، وشغلتهم عن عملية البناء والتطور .

كانت البداية مع تيمور الشرقية ، فسُلطت عليها الأضواء ، كما يحدث دوماً عندما يتعلق الأمر بإنسان من الأفضل أن يكون حسب المعايير الدولية غير مسلم . فالمسلم هو الإرهابي والمتخلف ولا داعيَ لوجوده على هذه الأرض . فهاجت الأمم لكرامة إنسان تيمور الشرقية . وفي النهاية كان الانفصال .

واليوم تحصد الحروب الأهلية في جزر المولوك أرواح العشرات يومياً ، حتى بلغ عدد القتلى منذ حوالي السنتين بضعة آلاف . ولكن هذه المرة كان صمتٌ يذكّر بذاك الصمت الذي

غلّف القضية الشيشانية .

وفي مناطق أخرى ، تتململ بعض المقاطعات راغبة بالانفصال .. فها هي آتشيه ترغب بالانفصال ، وهو حلم قديم ، وتلك إيريان جايا تحاول استثارة انتباه العالم مطالبة بالانفصال . ولا ندري من سيطالب بالانفصال غداً !.

إندونيسيا .. أيتها الأرض الخصبة التي ضمّت في جوفها الكثير من الثروات الضخمة . إندونيسيا التي يكاد شعبك أن يماثل ما ضمّته الأرض العربية من بشر .. لماذا يخنق الفقر عدداً كبيراً من أبنائك ؟ .. لماذا تبلل الأمطار الاستوائية الغزيرة أسراً عديدة اتخذت من بيوت الكرتون على جوانب السكك الحديدية مأوى لها ؟ لماذا ينهش الجهل هذا الجسد المتعب .. ؟!

قالوا : التخلف هو السبب ، وقالوا بل المحسوبية والرشوة والاختلاسات هي السبب ، وقالوا : بل هو الابتعاد عن الديمقراطية واغتيال حقوق الإنسان هو السبب .. وأقول : بل هو إنسانك .. كيف ولد هذا الإنسان ؟ وأين نشأ ؟ ومن شكّل عقله وفكره ؟ أسأل وأسأل ، علّني أجد جواباً شافياً لكل ما يدور في خلدي .. !!

(٢)

وجاء الثامن عشر من آب .. الذكرى الخامسة والخمسين لإعلان استقلال إندونيسيا ، والتي غلب عليها الإحتلال الهولندي لثلاثة قرون ونصف ، مع احتلال وجيز لبريطانيا مرة واليابان مرة أخرى .. وبعد هذه القرون الطويلة ، خرج المحتل ، وارتفعت صيحات النصر ، ورفرف العلم ذو اللونين : الأحمر والأبيض ، ليعلن انتصار الشعب .

والآن .. وبعد هذه الخمسة والخمسين سنة ، كيف أجدك يا إندونيسيا .. لماذا يتجه العالم نحو التوحّد ، وتتململين منه ، تريدين الانفكاك والتشرذم .

وترتفع أصوات المحتفين بذكرى الاستقلال ، ويعلو النشيد الوطني : هيا بنا نهتف ، لقد توحّدت إندونيسيا .. إندونيسيا عظيمة .. حرة .. حرة .. أرضي ووطني الذي أحبه ..

نعم ، أنتِ يا إندونيسيا وطني وبلدي الذي أحبه ، وأريده حراً ، حراً من كل أشكال العبودية .

فيما مضى كان العدو ، عدواً واحداً ، المستعمر ، والذي

حاول خلال قرون طويلة أن يغرس الخنوع والرضوخ في نفس الشعب ، وثار الشعب ، فما كان من العدو إلا أن خرج مرغماً ، تاركاً تركة ضخمة من الأعداء وراءه .. فالجهل عدو ، والفقر عدو ، وفقدان الماهية عدو ، والسطحية واللامبالاة عدو ، والجشع عدو ، ونسيان الهدف عدو ، غيره وغيره .. أعداء كثيرون .. واليوم .. أراك شاحبة من كثرة ما تترفين ، وأرى عيوناً جائعة تتربص بك لعلك تسقطين ، فيتناول كلٌ ما يشتهي منك .. ولكن لا ... لن تسقطي .. عودي .. عودي إلى ذاتك ، حنّي على عيالك .. وارتفعي فوق المحن ..

(٣)

أمبون .. تصرخين من الألم ، ولكنك تصرخين في فراغ ، فلا أحد يسمع ، ولا أحد يدرك ، ولا أحد يرى .

أمبون .. أيتها المدينة القابعة في جزر المولوك أقصى الشرق [١] .. هل يعرفونك ؟ .. هل يعلمون بمأساتك ؟ .. أم تراهم كلٌ قد أنسته مصيبته مصائب إخوانه ؟ ..

أمبون .. أين الجسد الذي عليه أن يتداعى عليك بالسهر والحمى .. قالوا : أصبح جسداً على حافة الانهيار من كثرة ما ينزف ؛ نزف في الشرق ، ونزف في الغرب ، ونزف في الشمال .. نزف في كل مكان ..

أمبون .. ما أكثر البيوت التي احترقت فيك .. ما أكثر الأجساد التي ماتت في سبيلك .. ما أكثر الثكالى فيك .. ما أكثر الأرامل .. ما أكثر اليتامى !! ما أكثر الغرقى الذين أصبحوا طعاماً للأسماك في بحرك عندما حاولوا الهروب منك [٢] .. !!

أمبون .. اصرخي ، علّهم يسمعون ، علّهم يدركون ، علّهم يعلمون ، فيعملون حسب ما يعلمون في سبيل إنقاذ ما تبقّى منك ..

---

(١) أمبون هي عاصمة الإقليم مالوكو الذي يقع شرق إندونيسيا . يبلغ عدد سكان الإقليم ٢٠٨٨٥١٢ نسمة ، منهم ٥٩,٠١% مسلم ، و٢٥,٢٩% مسيحي . أما أمبون فيبلغ عدد سكانها ٢١١٩٧٤ نسمة ، منهم ٤١,٢٨ مسلم ، و١,٠١% بروتستانتي ، و٥٥, ٥% كاثوليكي . وقد تعرّضت هذه المدينة ومدن أخرى حولها إلى أعمال العنف الديني منذ العام ١٩٩٨ إلى الآن .

(٢) إشارة إلى غرق العبّارة البحرية التي حملت ٥٠٠ شخص ، وهو ضعف حمولتها .